الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَنٍ* لأنّهُ لأجلِ هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكلَّ الغضبَ والسُخطَ والخُبثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ معَ أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِه* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بَربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بلِ المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

أحد أجداد المسيح

في هذه الأيام التي تقرّبنا إلى ميلاد ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح، رتب آباؤنا القديسون، الملهَمون من الروح القدس والمدفوعون بعلمهم السماوي وخبرتهم الرعائية، تخصيص هذا الأحد للاحتفال بذكرى البطريرك إبراهيم، أبي المؤمنين، وذرّيته أجداد ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح في الجسد.

تُبشّرنا الكنيسة بميلاد كلمة الله الأزلي بالجسد. هذا الظهور التاريخي للإله الإنسان في حياتنا ما هو إلا دعوة لنا في كل زمان ومكان إلى التواضع والتوبة والقداسة.

كان سقوط آدم إبتعاداً عن الله، فمرضت طبيعته واعتراها الضعف. خَسِرَ إمكانية معرفة الله والاتحاد به، وفقد كل عزاء وشركة مع الروح القدس الرب المحيي وينبوع كل عزاء وقداسة. لكن رجاء الخلاص عاد وتجدد في العهد بين الله وإبراهيم: «وتتبارك بنسلك كل أمم الأرض» (تك ١٨:٢٢). هذا الوعد، كما هو واضح في الآية، لم يكن محصورًا بأولاد إبراهيم بل هو يخرج من نسل اليهود ليشمل كلّ أمم الأرض.

قَدِم البطريرك إبراهيم من أرض الكلدانيين عبدة الأوثان، ولم يتردّد لحظةً لترك بلده ومنزله وعائلته وممتلكاته، وتلبية دعوة الربّ ويخرج إلى الأرض التي جعلها الله ميراثًا له، واعدًا إيّاه بذرية صالحة وبعهد أبدي. وكان ثمرة فعل الإيمان الذي أظهره إبراهيم أن ولدت سارة إسحاق، الذي أعطاها الله إيّاه في شيخوختها. ثم وَلَد إسحاقُ يعقوبَ ويعقوب كان أبا الآباء، آباء أسباط إسرائيل الاثني عشر. وفي نهاية المطاف ولد المسيح من سبط يهوذا كما كتب الأنبياء، ليكون هو نجازَ وعود الله وإكمال العهد بين الله والبشر.

العدد ٢٠١٥/٥٠

الأحد ١٣ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار الشهيد أفستراتيوس ورفقته

والشهيدة لوكيا البتول

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

لكن يبقى سؤال نطرحه اليوم على أنفسنا: ما العلاقة التي تربط بيننا وبين أجداد المسيح؟

الكنيسة تجلب انتباهنا إلى الأجداد قبل عيد الميلاد بسبب إيمانهم بوعد الله وجهادهم وانتظارهم مخلّصا ينقذ العالم والبشرية من عبودية الخطيئة. جميع الآباء الذين عاشوا على الأرض قبل ولادة المسيح عاشوا والتهبوا بشعلة هذا الإيمان، ولم يسمحوا أن تنطفئ هذه الشعلة. هم أمثلة ساطعة لنا لنقتدي بهم في عيشنا على الأرض بعد تجسد ربنا.

تمامًا مثل هؤلاء الأجداد، نحن أيضا لم نرَ في حياتنا المسيح الإله المتجسّد، لكنهم كانوا موقنين أنه سيأتي إلى العالم، في حين أننا نعلم أنه قد أتى إلى العالم. هم آمنوا إيمانًا راسخًا بمجيئه فتبرّروا بهذا الإيمان.

هكذا، ومن خلال إيمان وشفاعة البطاركة القديسين (أي إبراهيم وإسحق ويعقوب) والأجداد (أي أسلاف المسيح بالجسد)، جاء ربنا يسوع المسيح ثمرةً لإيمان إبراهيم. لذلك، عندما نسمع نحن صوت الله ودعوته، في حين أننا ما زلنا في أرض غربة عن الله في الأهواء وشهوات هذا العالم، يجب على كل واحد منّا، مثل إبراهيم، ودون أي تردّد، التخلّي عمّا هو لنا وتتّبع دعوة الله بإيمان إلى أرض الميعاد، حيث يمكننا بدورنا أن نولد، روحيًّا في المسيح. لأننا إذ ننغرس فيه بالإيمان والمعمودية، ننمو وتنمو في نفوسنا الفضائل المقدسة لكيما نشرق بنور معرفته والاتحاد به.

نحن، إذ نصبح «أبناء الله» من خلال عطية الروح القدس، نرى المسيح يتصوّر فينا، نحن نسل إبراهيم الروحي، «لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حرّ. ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذًا نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة» (غلاطية ٣: ٢٦–٢٩).

لذلك دعونا نصبح، في دورنا، «أقرباء» المسيح بالمثابرة في الإيمان، لنحتفل في الميلاد قائلين: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غلاطية ٢: ٢٠).

المطلوب منّا نحن أن يكون لنا إيمان يتخطى إيمان هؤلاء الأجداد. يجب علينا أن نؤمن أن الرب الإله عاش على الأرض كإنسان. وأنه من خلال كنيسته، لا يزال معنا باستمرار، وأنه أيضًا يأتي إلى الأرض بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات.

لهذا نحتفل اليوم بالأجداد القديسين. لأنهم عائلتنا الروحية، وقد آمنوا منذ زمن بعيد بالإله الواحد الذي به نؤمن ونعترف، «الذي يظهر بمشيئته طفلاً جديدًا وهو إلهنا قبل الدهور».

النبي حجّي

تتوالى في كنيستنا المقدّسة أعياد الأنبياء خلال الفترة التي نتهيّأ فيها لاستقبال ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح مولودًا بالجسد. من هؤلاء الأنبياء، النبي حجّي (أو حجّاي) الذي نعيّد له في السادس عشر من شهر كانون الأوّل.

النبي حجّي هو عاشر الأنبياء الصغار، ومعنى اسمه «عيديّ» أي «المولود في يوم عيد». يُعتَبَر النبي حجّي مع النبيَّين زكريّا وملاخيا أنبياء فترة ما بعد السبي. فبعد مرور ستّة عشر عامًا على العودة من السبي كان اهتمام الناس الأوّل هو إعادة بناء بيت الربّ، لكنّ مصاعب سياسيّة حالت دون ذلك فتوقّف العمل. وبعد مرور هذه العاصفة، فترت غيرة الشعب وأصبح كلّ واحد مهتمًّا ببناء بيته الخاص، فأنذرهم الله بأنّه سينزع البركة عن محاصيلهم، وقام حجّي يحثّهم على العمل في بيت الربّ. ثمّ انتقل النبي حجي من الحديث عن بناء بيت الربّ إلى الحديث عن بناء بيت النّفس على أساس «مشتهى كلّ الأمم» (٢: ٧).

لقد حزن النبي حجّي من تراخي الشعب في إعادة بناء هيكل الربّ

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦–٢٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسل عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِق كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستَعْفون. فقال لهُ الأولُ قد اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وانظرَهُ فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماضٍ لأُجرِّبَها فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبدِه اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتِها وأدخِلِ المساكينَ والجُدْعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قد قُضِيَ ما أمرتَ به ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد أخرجْ إلى الطُّرقِ والأسْيجَةِ واضطَرِرهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّهُ لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئكَ الرجال المدعوّين* لأنَّ

المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

ما أكثر النماذج في الكتب المقدسة للحياة الصالحة. فالواحد تمجد بالفقر والآخر بالغنى. إيليا تمجد بالفقر، وإبرهيم تمجد بالغنى. الواحد تمجد بالحياة الزوجية والآخر بالبتولية. إبرهيم بالأولى وإيليا بالثانية. فاسلك الطريق التي تريدها: الأولى والثانية تؤديان إلى السماء. الواحد تمجد بالصوم كالمعمدان، الذي لم يكن له غير لباس من وبر، والآخر بدون الصوم كأيوب الذي كان لديه ثروة طائلة وزوجة وأبناء وبنات يهتم بهم. ما لي أذكر المسكن والغنى والمال؟ فالملوك تعيش حياة صالحة، ربما أكثر من العامة، مع كل ما لديها من مال وحسن حال. ان داود النبي كان ملكاً وقد تمجد ولم يغترّ بالتاج والأرجوان. وآخر تمجد وهو يدير شعباً برمته، أعني به موسى، فقد كانت سلطته مطلقة ولا يخفى ما يلزم من الصعوبة والشدة لإدارة ذلك الشعب الجبار. فمن هذه الأسئلة رأيت ان المتهدّم واهتمام كلّ واحد بإعادة بناء بيته الخاصّ: «هل الوقت لكم أنتم أن تسكنوا في بيوتكم المغشّاة وهذا البيت خراب» (١: ٤)، «لأجل بيتي الذي هو خراب وأنتم راكضون كلّ إنسان إلى بيته، لذلك منعت السموات من فوقكم الندى، ومنعت الأرض غلّتها» (١: ٩–١٠). حثّ النبيّ الشعبَ في الجزء الأوّل من نبوءته على إعادة بناء هذا الهيكل الذي أصابه الخراب بسبب ما وقع من أحداث في أورشليم، إلّا أنّه ينتقل في الجزء الثاني للحديث عن بيت آخر يجب بناؤه فيقول: «والآن فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فما قبله قبل وضع حجر على حجر في هيكل الربّ» (٢: ١٥)، أي على الشعب أن يجعل قلبه مع الله (كما يقول الكاهن في القدّاس الإلهي: لنضع قلوبنا فوق، فيجيب الشعب: واضعوها لدى الربّ)، عندئذٍ تكون نتيجة الالتصاق بالربّ أنّه يقول لشعبه: «وأجعلك كخاتم لأنّي قد اخترتك» (٢: ٢٣)، أي إنّ الربّ سيجعل من الشعب عروسه التي يلتصق بها هو أيضًا بدوره مثلما يلتصق الرجل بعروسه ويتباهى بأنّها له فلا يعود ينزع الخاتم الذي يدلّ على هذا الارتباط من إصبعه.

يذكّرنا قول النبي حجّي: «هي مرّةٌ بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كلّ الأمم ويأتي مشتهى كلّ الأمم فأملأ هذا البيت مجدًا قال ربّ الجنود» (٢: ٦–٧) بحديث الربّ يسوع مع اليهود: «فأجاب اليهود وقالوا له أيّة آية ترينا حتّى تفعل هذا. أجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيّام أقيمه. فقال اليهود في ستّ وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنتَ في ثلاثة أيّام تقيمه» (يو ٢: ١٨–٢٠). تاريخيًّا تمّ الانتهاء من إعادة بناء هيكل أورشليم عام ٥١٦ قبل الميلاد، أي في الفترة التي عاشها النبي حجّي، إلّا أنّنا نرى أنّ اليهود بعد قرون من هذا النبي، لم يفهموا ما قاله عن أنّ الهيكل مهمّ، لكنّ الأهمّ هو هيكل القلب الذي عليهم العمل على تهديم بنائه الحجريّ القديم وإعادة بنائه من جديد ليكون كما يشاؤه الربّ. أمّا الهيكل الحقيقي فسيرسله الله وهو «مشتهى كلّ الأمم»، أي الربّ يسوع الذي سيأتي ليخلّص العالم ويملأ «هذا البيت مجدًا»، أي سيعيد للإنسان مجده الأوّل الذي خسره في الفردوس عندما سقط.

من هنا سبب تعييدنا للنبي حجّي قبل فترة قصيرة من تعييدنا لميلاد «مشتهى كلّ الأمم»، إذ إنّه يذكّرنا بمجيء مَن سيعيد إلينا المجد الذي خسرناه بسقوطنا، إلّا أنّنا عدنا ولبسناه من جديد في المعموديّة وعلينا أن نحافظ عليه ناصع البياض من خلال معموديّة دموع التوبة الدائمة.

عظمة وبؤس الإنسان

يشيد الكتاب المقدّس كثيراً بعظمة الإنسان. لكن مراراً كثيرة عندما كنت أتأمّل في حياة الإنسان وأحواله أسأل نفسي كيف يكون الإنسان عظيماً وهو العدم، وهو الذي يخضع لمختلف التغيّرات والتقلّبات، وهو الذي يتحمّل منذ ولادته حتى موته كابوس الشرّ الثقيل. ألم يقل بحقّ صاحب المزامير «ما البشر حتى تعترف له وابن الإنسان حتى تفكّر فيه» (مز ١٤٣: ٣) فأين هي عظمة الإنسان يا ترى؟

إنّ رواية أصل الإنسان كما وردت في الفصل الأول من سِفر التكوين تشرح لنا هذا الإبهام. يقول الكتاب المقدّس: «إنّ الرب الإله جبل الإنسان تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار الإنسان

نفساً حيّة» (تك ٢: ٧). هذه الكلمات تكشف لك عظمة الإنسان وبؤسه. فهو لا شيء حسب طبيعته الترابية، لكنّه عظيم جدًّا بسبب الشرف الذي أحاطه به الله نفسه.

تأمّل جيداً في رواية الخلق. فقد قال الرب: «ليكن نور فكان نور... وقال أيضاً ليكن جلد، فكانت النجوم والشمس والقمر»... وغير ذلك من الأفلاك التي نراها تدور في السماء بانتظام عجيب. ولم يقل الله ليكن الإنسان. بل جَبَل تراباً، فهو نفسه صوّر جسد الإنسان بيديه من تراب. لم يكلّف ملاكاً بهذه المهمّة، ولم يقل للأرض أن تصنع الإنسان، لكنّه بيديه الإلهيّتين كفنان ماهر أخذ تراباً ليخلق الإنسان. فإذا نظرت إلى التراب تجد ان الإنسان هو كائن حقير، ولكن إذا نظرت إلى مَن صوّر الإنسان بيديه تدرك حينئذٍ عظمة الإنسان.

يقول الكتاب المقدّس أيضاً «أخذ تراباً ونفخ فيه نسمة»، ويقول في موضع آخر «وخلق الإنسان على صورته». إذاً نستوحي من هذه الآيات أنّ الله جَبَل جسد الإنسان من تراب على صورته، أما نفسه فقد خلقها: إنّ الإنسان الداخليّ خلقه الله، أمّا الإنسان الخارجي فقد صوّره على صورته كمثاله. إنّ الصورة تليق بالتراب، أمّا الخلق فهو يليق بالنفس فقط...

مَن يتأمل في جسم الإنسان ويفحص تركيبه العجيب يدرك حكمة الله الذي كوّنه من تراب وأبدعه من العدم. تأمل طريقة التنفّس وسريان الدم في الجسم من خلال عروق وأوردة، وخفقان القلب ودفقه للدم بانتظام، وغير ذلك ممّا تلاحظه إذا أمعنت النظر وفحصت بدقّة جسمك. لكننا نميل طبيعيًّا وللأسف إلى معرفة أسرار الكون والفلك أكثر ممّا نميل إلى معرفة ذواتنا معرفة صحيحة، لذلك أنصحك بفحص العجائب الكثيرة التي في جسمك. صحيح انّك كائن صغير لكنك عالم كبير. وفي هذا المعنى قال داود النبيّ: «إنّ أعمالك معجزات ونفسي عالمة بذلك أي علم» (مز ١٣٨: ١٤) انّ معرفة دقيقة لجسم الإنسان تقود حتماً إلى معرفة الكائن العظيم الذي خلقه.

القديس باسيليوس الكبير

خلوة أساتذة التعليم الديني

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام، نظّم مكتب التربية المسيحية في بيروت خلوةً روحيّةً لأساتذة التعليم الديني العاملين فيه، يوم السبت ٢٨ تشرين الثاني ٢٠١٥، في دير القديس سمعان العمودي في حامات.

تناولت الخلوة موضوع أسس الحياة الروحية في المجتمع المدني، وطريقة إيصالها إلى الأولاد من خلال وسائل التواصل الفعّال، بالإضافة إلى أهميّة تقبّل النعمة الإلهية من أجل عيش حياة مسيحيّة حقّة.

تخلّلت الخلوة صلوات وقراءات روحية وأشغال في الدير اختتمت بقداسٍ إلهي صباح الأحد.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

بعضاً تمجدوا بالغنى، وبعضاً بالفقر أو الحياة الزوجية أو بالتبتل.

والآن انظر إلى الذين هلكوا، ان بالحياة الزوجية أو بالبتولية أو بالغنى أو بالفقر! فشمشون هلك بالحياة الزوجية، بل بإرادته، وليس من الزواج. والخمس عذارى الجاهلات هلكن بالتبتل. والغني القاسي الذي لم يشفق على لعازر هلك بالغنى. وما أكثر الذين يهلكون بالفقر. وكم من ملوك هلكوا وهم يديرون أمماً كبيرة! فهل يخلص الموظفون في الجندية؟ أنظر إلى كرنيليوس! أيخلص الوكلاء؟ أنظر إلى خصي كنداكة. فمن الأمثلة كلها يتضح لنا أننا نخلص ولا نهلك إن أحسنّا التصرف بالغنى أو بغيره، فالمتحفظ لا يضرّه شيء.

فإن كانت نفسك شريفة، فهي التي تقيك من الرذائل والنقائص. وإن كان المرء مقدساً فلا يقف أمامه شيء من الموانع الخارجية.

القديس يوحنا الذهبي الفم